



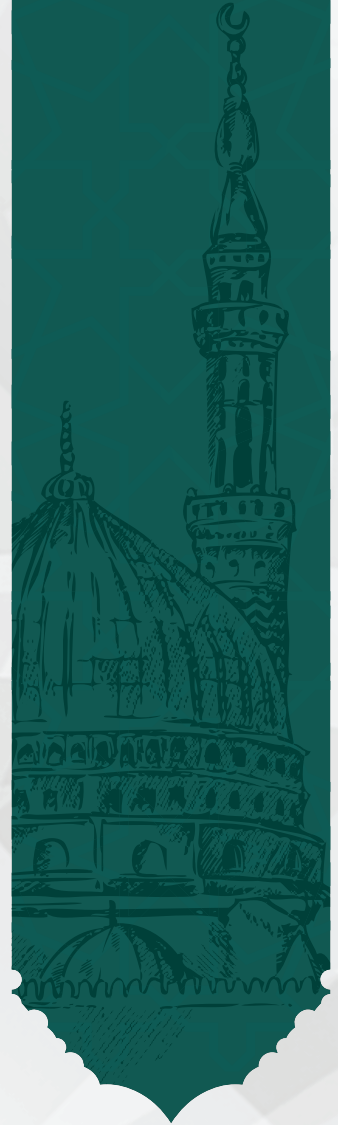
الملك عبدالعزيز آل سعود
رئيس الجمهورية
لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

طائفة الصائبة

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند

الرئيس العام لرئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرسين بالطرامين الشريفين





طَيْبَةُ الصَّيِّبَةِ

تأليف
عبد الرحمن بن عبد الله السِّنْدِي
الرئيس العام لإسئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرسين بالمعتمد الشريفين



ج) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤٣٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السند ، عبدالرحمن بن عبدالله
طبعة الطيبة. / عبدالرحمن بن عبدالله السند . - الرياض، ١٤٣٩ هـ
١٠٠ : ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ١-٦٩-٦٨٥-٩٦٦٠

١- فضائل المدينة المنورة ٢- البقيع (مقابر) أ.العنوان
ب.السلسلة
ديوي ١٢٢, ٩٥٢
١٤٣٩/٩٧٩٩

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٩٧٩٩
ردمك ١-٦٩-٦٨٥-٩٦٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه؛ صلى الله عليه، وعلى آله الطَّيِّبين، وأزواجه الطَّاهرات أُمَّهات المؤمنين، وصحابته الغُرِّ الميامين، ومن سار على نهجهم، واتَّبَعَ خُطَاهُمْ إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أخي زائر مدينة رسول الله ﷺ:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وإنِّي أحمد الله الذي يسَّر لك الوصول إلى هذه المدينة الطيبة المباركة، التي اختصَّها الله لتكون مُهاجر نبيه ﷺ، ومقامه في حياته، ومَدْفَنه بعد مماته، وفيها مسجده الشريف، ثاني الحرمين الشريفين، صلاة فيه بألف صلاة مما سواه؛ إلا المسجد الحرام.

هي طيبة الطَّيبة، وطابة المباركة، والدَّرْع الحصينة، ودار الهجرة وأرضها، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار السلامة، وقبَّة الإسلام.

كان ﷺ يحبُّها حبًّا شديدًا فكان إذا قدم من سفرٍ وأبصر جُدرانها أسرع بناقته من حُبِّه لها، وشوقه للرجوع إليها^(١).

(١) أخرج البخاري (١٨٠٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، فأبصر جُدران المدينة، أوضع ناقتة (أي أسرع)، وإن كانت دابة حركها من حبِّها».

وفي فجاجها وطرقاتها تنقل الحبيب ﷺ فسار على قدميه، وركب ناقته تارة، ودابته تارة، فيذهب ويجيء، ويزور أصحابه..

وكان ﷺ يذهب كل يوم سبت ماشياً أو راكباً إلى مسجد قباء فيصلي ركعتين فيه...

ويقول عن جبلها العظيم أحد: «جَبَلٌ أَحَدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(١).

قَدِمَ ﷺ إليها من مكة مهاجراً خفيةً من المشركين، وهاجر قبله وبعده أصحابه الأطهار، فأعزَّهم الله فيها.

قَدِمَ ﷺ وأصحابه المهاجرين على أهلها فأووه ونصروه، وجاهدوا معه وبعده بأموالهم وأنفسهم، فﷺ.

سماهم الله الأنصار، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢].

ومدحهم الله ﷺ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

تبوأوا دار الهجرة والإيمان، حتى صارت مرجعاً لأهل الإيمان،

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥). قال ابن حجر رحمه الله: «وأحد من جبال الجنة، كما ثبت في حديث أبي عيس بن جبر مرفوعاً: «جَبَلٌ أَحَدٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، وهو مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ». أخرجه أحمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه؛ كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل، فقال لما اضطرب: «اسْكُنْ أَحَدًا» الحديث. وقال السهيلي: كان ﷺ يُحِبُّ الْفَالَ الْحَسَنَ، والاسم الحسن، ولا اسم أحسن من اسم مُشْتَقٍّ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ، قال: ومع كونه مُشْتَقًّا مِنَ الْأَحَدِيَّةِ، فحركات حروفه: الرِّفْعُ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعُلوّه، فتعلق الحبُّ من النبي ﷺ به لفظاً ومعنى، فخصَّص من بين الجبال. «فتح الباري» (٧/ ٣٧٨).

يلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماها المسلمون؛ إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشرٍّ، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وهم مع ذلك يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش، حتى إنَّ مَنْ كان عنده امرأتان كان يطلق إحداهما ويزوجها واحداً منهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي: حاجةٌ وحلةٌ.

سماهم الله أنصاراً بنصرهم دين الهدى وعوان الحرب تستعر وسارعوا في سبيل الله واعترفوا للنائبات وما خافوا وما ضجروا ومدحهم الرسول ﷺ في أكثر من موضع فقال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النَّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(١).

ودعا لهم، ولأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»^(٢).

هي مدينةٌ اختصَّ الله ملائكتَهُ لتقوم على حراستها، فما من نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، وإليها ينجمع الإيمان.

وهي دار الخلافة من بعده ﷺ، ففيها عاش جلُّ أصحابه وزوجاته الطَّاهرات، وكثير من أهل بيته ﷺ، وفيها دفنوا.

فيا أيها الزائر لهذه المدينة المحرَّمة العظيمة:

هنيئاً لك هذا المقدم الميمون إلى مدينة رسول الله ﷺ، وسأحدثك

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٥٠٦)، من حديث زيد بن أرقم رضى الله عنه.



في هذا الكتاب عن: هجرته ﷺ من مكة للمدينة، ومحبه للمدينة، ثم وفاته فيها، وعن أسمائها، وعن فضائلها، وعن الأماكن التي يسُنُّ زيارتها، وآداب زيارة قبر النبي ﷺ الشريف.

جعلني الله وإيّاك ممن يعظم هذه المدينة حقَّ تعظيمها، وأن يبارك لك في زيارتك لها.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد.



من مكة إلى المدينة

عاش نبينا وحبينا محمد ﷺ منذ مولده، وفي طليعة عمره وشبابه في مكة المكرمة يتنقل بين شعابها وجبالها، ومجاورًا لأهلها في مساكنهم، يحبونه، ويرفعون من شأنه، أسموه الأمين، وقدموه في مواطن كثيرة حفظها التاريخ.

كان وقته ﷺ وقت جاهلية جهلاء، عبدوا الحجر والشجر من دون الله، واستغاثوا بها، وادّعوا أنها تقربهم إلى الله زُلْفَى!

إلا أنه كانت عند العرب بقايا من الحنيفية التي ورثوها عن دين إبراهيم عليه السلام، فكانوا -مع ما هم عليه من الشرك- يتمسكون بأمور صحيحة توارثها الأبناء عن الآباء، وكان بعضهم أكثر تمسكًا بها من بعض.

وكان من أولئك طائفة في مكة تعاف ما كان عليه أهلها من الشرك وعبادة الأوثان، وأكل الميتة، ووَاد البنات، ونحو ذلك من العادات التي لم يأت بها شرع حنيف، وكان من تلك الطائفة رسولنا ﷺ قبل بعثته.

وكان إلى ذلك: محبًا لمساعدة الضعيف، ونصرة المظلوم، وإكرام الضيف، وصلة الرحم، وامتاز ﷺ عن غيره باعتزاله الناس في غار حراء للتعبد والتحنث، فحُبب إليه الخلاء بنفسه.

كان ﷺ يقيم في غار حراء الأيام والليالي ذوات العدد، وكان أكثر ما يقيم فيه خلال شهر رمضان المبارك؛ يترك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها،

وينصرف عنها، ويخلو بنفسه في ذلك الغار داخل جبل النور الشاهق المشرف على مكة المكرمة.

ولم يُنقل لنا ما كان يفعله ﷺ في ذلك الغار، ولعلَّ غايته ﷺ هو الابتعاد عمَّا كان عليه قومه من الشرك، والتفكر في ملكوت السموات والأرض.

فأتاه جبريل عليه السلام بالوحي من ربه ﷻ، فقرأ عليه قوله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١-٥] فكان ذلك بدء رسالة الله الخاتمة للبشر، الداعية إلى توحيده ﷻ.

فقام يدعو إلى توحيد الله ﷻ، فلا يَشْرُكْهُ في تدبير ملكوت السموات والأرض أحد، وهو المستحق وحده للعبادة؛ فلا تصرف إلا له:

لا يعبد إلا الله...

ولا يستغاث إلا بالله...

ولا يلجأ إلا إلى الله...

ولا يستعان إلا بالله...

ولا يخاف إلا من الله ﷻ...

وهو الواحد الأحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

واحدٌ في: ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

واستمرت دعوته في مكة ثلاثة عشر عامًا، أسلم معه قليل من أهل

مكة، وعاند أكثرهم، فلما ضاقت عليه وعلى أصحابه الحال، أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة؛ لينظروا لعلها تكون مقامًا خيرًا من مقامهم في مكة.

ثم رأى ﷺ في منامه -ورؤيا الأنبياء في المنام وحي^(١)- أنه ينتقل إلى دار فيها نخل، كما حدث بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ للمسلمين: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ»، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة^(٢).

وكان أول من هاجر من صحابته للمدينة مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم رضي الله عنهما.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء: عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء»^(٣).

واستمع لأَم المؤمنين عائشة الطاهرة رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ، وهي تصف هجرة نبينا محمد ﷺ:

قالت رضي الله عنها: «وتجهز أبو بكر قبل المدينة^(٤)، فقال له رسول الله ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي».

(١) أخرجه البخاري (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤١).

(٤) أي: للهجرة إليها.

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال: «نَعَمْ».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه.

وعَلَّف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر أربعة أشهر.

فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نَحْرِ الظَّهيرة^(١)، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنَّعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل.

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ».

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله.

قال: «فَإِنِّي قَدْ أَدْنَلِي فِي الْخُرُوجِ».

فقال أبو بكر: الصَّحابة بأبي أنت يا رسول الله^(٢)؟

قال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ».

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين.

قال رسول الله ﷺ: «بِالْثَّمَنِ».

قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفرة في

(١) أي: أوَّلُه.

(٢) أي: أريد المصاحبة.

جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور، فكَمْنَا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثَقِفَ لَقْنُ^(١)، فيُدَلِّجُ من عندهما بِسَحَرٍ، فيصبح مع قريش بمكة كَبَائِتٍ^(٢)، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وَعَاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامرُ بن فُهيرة، مولى أبي بكرٍ مَنَحَةً مِنْ غَنَمٍ^(٣)، فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسلٍ، وهو لبنٍ منحتهما ورَضِيفُهُما^(٤)، حتى ينق بها عامر بن فُهيرة بِغَلَسٍ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدَّيل، وهو من بني عبد بن عدي، هَادِيًا خَرِيَّتًا - والخَرِيَّت: الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليالٍ، براحليتهما صبح ثلاث^(٥).

(١) أي: حاذق سريع الفهم.

(٢) أي: يصبح مع أهل مكة وكأنه بات في داره.

(٣) أي: غنماً فيه لبن يمنح.

(٤) أي اللبْنُ المَرْصُوفُ أي التي وُضِعَتْ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ بِالسَّمْسِ أَوْ النَّارِ لِيُنْعَقَدَ وَتَزُولَ رَحَاوَتُهُ. فتح الباري (٧/ ٢٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يخرجون كل غداة إلى الحرّة، فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أوا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ^(١) يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة، فعَدَلَ بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار -ممن لم ير رسول الله ﷺ- يُحَيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء، وصَلَّى فيه رسول الله ﷺ.

ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصليّ فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مَرَبِّدًا لِلتَّمَرِ^(٢)، لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة.

(١) عَلَيْهِمُ الْثَّيَابُ الْبَيْضُ. عمدة القاري (١٧ / ٤٩).

(٢) هو: الموضع الذي يُجَفَّفُ فيه التَّمَرُ لينشَفَ.

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً.

فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله.

فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما.

ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول كما يقولون:

«هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرَ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَظْهَرُ».

ويقول:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرَ الْآخِرَةِ فَأَرْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»^(١)

ثم لما أتم ﷺ بناء مسجده جعله منطلق دعوته، واجتماعه بأصحابه؛ مما يدل على أهمية المساجد، وعمارتها بالبناء الحسي والمعنوي، وضرورة تطهيرها من كل دنس ورجس، كما فعل ﷺ بنش القبور التي كانت في أرض المسجد؛ فلا يجتمع قبر ومسجد.

هكذا انتقل حبينا ﷺ إلى المدينة...

ثم هاجر إليها عامة أصحابه من كل مكان...

فكانت المدينة: بلد الأمن والإيمان، فأحبها ﷺ وأنس بها، وأحبها أصحابه وعوضهم الله داراً عن دارهم التي أخرجوا منها، فله الحمد والمنة.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

وعاش في هذه المدينة ﷺ عشر سنوات، تَنَقَّلَ في فِجَاجِها وديارها، ونشر دعوة التوحيد، وفتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، وأقام دولته.

ثم أذن له الله ﷻ أن يعود لمكة، لبيت الله الحرام، مُطَهَّرًا له من دَنَسِ الشرك والعبودية لغير الله، مُطَهَّرًا لتوحيد الله ﷻ...

طاف على الكعبة وهو يكسر أصنامها ويهوي بهذه الحجارة مُؤَذِّنًا بسقوط عقيدة الشرك والتنديد... ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

أظهر الله التوحيد، وأسقط الشرك ومظاهره:

فلا يعبد إلا الله...

ولا يرجى إلا هو ﷻ...

ولا تطلب الحاجات إلا منه ﷻ...

عاد إليها بعد ثماني سنوات لتكون دار إيمان وتوحيد، بعد أن خرج منها وهي دار كفر وشرك؛ فله الحمد والمنة.

عاد يكسر الأصنام التي كانت قبل ذلك تعبد من دون الله!! حَجَر لا يضر ولا ينفع، ويعلمون أنه لا يضر ولا ينفع!!

دخلها فاتحًا في السنة الثامنة من الهجرة بجيش التوحيد...

وبعد أن دخلت السرايا التي قسمها رسول الله ﷺ حين وصوله لحدود مكة واجتمعت؛ نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه، والناس من حوله ومن خلفه...

ورسول الله ﷺ مُطَاطِئُ رَأْسِهِ فِي تَوَاضِعٍ عَظِيمٍ، حَتَّى إِنَّ لِحِيَّتَهُ كَادَتْ تَمَسُّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ...

فَأَقْبَلَ ﷺ عَلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَدَخَلَهُ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَاسْتَلَمَهُ وَقَبْلَهُ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صَنْمًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَطْعُنُهَا بِقَوْسِهِ وَيَقُولُ:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

وَالْأَصْنَامُ تَتَسَاقُطُ عَلَى وَجُوهِهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْكَعْبَةَ؛ فَرَأَى فِيهَا الصُّورَ، وَرَأَى فِيهَا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهُمَا يَسْتَقْسِمَانِ بِالْأَزْلَامِ! فَقَالَ ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَفْسِمَا بِهَا قَطُّ»^(١)، وَأَمَرَ بِالصُّورِ فَمَحِيَتْ.

ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَمَعَهُ أُسَامَةُ وَبِلَالٌ، فَصَلَّى دَاخِلَ الْكَعْبَةِ، وَدَارَ فِيهَا، وَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهَا، وَوَحَّدَ اللَّهَ، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ، وَقَرِيشٌ قَدْ مَلَأَتْ الْمَسْجِدَ صُفُوفًا يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَذَهَبَ الْأَحْزَابُ وَحْدَهُ...

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا

(١) أخرجه البخاري (١٦٠١).

وَقَبَائِلَ لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحُجَرَات: ١٣].

ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»

قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم.

قال: «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ﴾ [يُوسُف: ٩٢] اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»^(١).

الله أكبر! أيُّ رحمة يحملها قلب هذا النبي الكريم ﷺ...

بعد أن آذوه في نفسه، وماله، وصحبه، ثم اضطروه إلى الخروج من داره وبلدته، تاركاً وراءه ذكريات حياته فيها، مهاجراً إلى المدينة، وبعد أن قاتلوه في بدر وأحد والخندق، وقتلوا من أصحابه مَنْ قتلوا، ثم لما تمكّن منهم يقول لهم: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»!

هل يستطيع ذلك إلا من امتلأ قلبه رحمة ومحبة وعَفْواً، ورغبة في الإحسان للخلق لعلّهم يُسلمون.

وفي اليوم الثاني قام رسول الله ﷺ خطيباً في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ومجّده بما هو أهله، ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ

(١) أخرجه النسائي (١١٢٣٤) بنحوه، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٤٥٤)، والبيهقي



حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(١).

وأقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً:

يُجَدِّدُ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَحَنِيفِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَوْحِيدِهِ الْخَالِصِ لِلَّهِ ﷻ الَّذِي غَيَّرَتْهُ قَرِيشٌ بِشُرْكِهَا بِاللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

وَيُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى الْهَدْيِ وَالتَّقَى.

فَخَافَ الْأَنْصَارَ -أَهْلُ الْمَدِينَةِ- أَنْ يَسْتَوْطِنَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَةَ وَيَتْرَكَ الْمَدِينَةَ...

وَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَتَرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ أَنْ يَقِيمَ بِهَا وَيَتْرَكَ الْمَدِينَةَ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَاذَا قُلْتُمْ؟»

فَقَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَا اسْمِي إِذَا؟! كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ».

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ، يَقُولُونَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا لِلضَّنِّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ^(٢).

لَقَدْ آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، وَلَا يَضِيعُ هَذَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (١٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠).



وبعد أن جلس فيها ﷺ تلك الأيام عاد إلى مدينته طيبة الطَّيْبَةِ، ولم يأذن لأصحابه الذين هاجروا من مكة أن يتخلفوا فيها، بل أمرهم أن يعودوا إلى مهاجرهم «المدينة» أرض الإيمان.



إلى الرفيق الأعلى

ولمّا أتم ﷺ مهمته في تبليغ رسالة ربّه، وأقرّ الله عينه باستجابة من حوله لها، وأرسل بُعوثه للعرب والعجم من أهل البلاد والممالك الأخرى دعاةً لتوحيد الله ﷻ حان وقت رحيله ﷺ عن هذه الحياة الدنيا؛ كحال كلّ مَنْ خلقه الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومع تمام التبليغ واكتمال مهمته ﷺ كان ذلك إيذاناً بانتهاء عمره

ﷺ.

وقد أحسّ ﷺ بذلك، وكان يتلطف في إخبار أصحابه ﷺ بذلك رافة بهم، وشفقة عليهم، ومن صور ذلك التلطف النبوي الكريم:

١- عن أبي مُوَيْهَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -مولى رسول الله ﷺ- قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَاَنْطَلِقُ مَعِيَ، فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيُهَنِّكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّأَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوَّلُهَا: الْآخِرَةُ أَشْرُ مِنَ الْأُولَى».

ثم أقبل عليّ، فقال: «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةُ، فَخَيْرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي».

قلتُ: بِأبي أنت وأُمِّي، خُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ.



قال: «لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي».

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَدِئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ^(١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي مُوَيْهَبَةَ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَلُومُهُ عَلَى قَوْلِهِ: «خُذْ مِفْتَاحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ»، إِنَّهُ لَا يَتَخَيَّلُ حَيَاتِهِ بِدُونِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٢- وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ دَاعِيَةً لِلتَّوْحِيدِ، وَخَرَجَ مَعَهُ ﷺ لِتَوْدِيعِهِ وَتَوْصِيَّتِهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ لَهُ بِأَنْ يَبْدَأَ بِالدَّعْوَةِ لِلتَّوْحِيدِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا وَاجِبَ عَلَى الْمَكْلُفِينَ أَعْظَمَ مِنَ التَّوْحِيدِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْهِمْ...

قال له: «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي»...

فَبَكَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وَحُقِّقَ لَهُ أَنْ يَبْكِي، وَهُوَ يَتَذَكَّرُ قَوْلَهُ يَوْمًا: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُكَ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩٧)، والحاكم (٤٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢١١٧)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٩٨٥٧) واللفظ له.

٣- وذهب صَلَّى رسول الله ﷺ يوماً لمقبرة الشهداء، وصَلَّى على قتلى أحد، كالمودّع للأحياء والأموات^(١).

وبدت شكوى مرض الموت فيه ﷺ وهو في بيت ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فاستأذن زوجه أن يمرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَذِنَ لَهُ.

فخرج من بيت ميمونة متكىً على الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب، وهو يخطُّ برجليه في الأرض ﷺ، من ثقل المرض^(٢).

واشتدَّ عليه ﷺ المرضُ حتى أمرهم أن يصبُّوا عليه سَبْعًا من القُرْب، ثم خرج على الناس فصلَّى بهم وخطبهم^(٣).

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مرَّ أبو بكر، والعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بمجلس من مجالس الأنصار وهم يَبْكُون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك...

قال: فخرج النبي ﷺ وقد عَصَبَ على رأسه حَاشِيَةَ بُرْدٍ^(٤)، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِّشِي وَعَيْبَتِي»^(٥)، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٤٢).

(٤) أي: أن رسول الله ﷺ قد ربط رأسه من الوجة بطرفي ثوب من البُرْد، وهي نوع من الثياب المعروفة ذلك الوقت.

(٥) أي: بطانتي وخاصتي.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٧٩٩)، ومسلم (٣٨٠١).

لله ما أعظم هذا الحبَّ للأنصار، وَمَنْ أعظم من رسول الله ﷺ حفظًا للودِّ والحقِّ، وقد استقبلوه، واستقبلوا أصحابه، وآووه، وفدَّوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»...

فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله!! فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا.

قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

رضي الله عن أبي بكر الصديق، كان أحبَّ الناس لرسول الله ﷺ، وأقربهم إلى قلبه، فقد كان مع نبيِّنا ﷺ من أول بعثته، وإلى وداعه للدُّنيا؛ كان معه في كل نازلة وفي كل معركة...

كان معه: في الغار، ويوم بدر، وأحد، والخندق، وتبوك، فما بدَّل ولا غيَّر، فكان نعم الصاحب رضي الله عنه.

واشتدَّ الوجع به ﷺ فكان يَطْرَحُ خميصه على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٣).

قالت عائشة رضي الله عنها: «دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١)، فقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله.

فتراه فاطمة رضي الله عنها على حاله تلك فتقول «واكرب أباه!» فيقول لها: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»...

ثم أسر إليها حديثاً فبكت (بكاء شديداً)، فقالت لها عائشة لها: لم تبكين؟

ثم أسر إليها حديثاً؛ فضحكت.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن!

فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ؟ فقالت: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألتها عن ذلك، فقالت: «سَارَّني النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سَارَّني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت»^(٢).

وفي رواية: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٣).

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٣)، وأبو داود (٥٢١٧)، والنسائي (٩١٩٣)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فرحّب بها، وقبّلها، وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فرحّبت، وقبّلت، وأجلسته في مجلسها. فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فرحّب بها وقبلها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، (٣٦٥٢)، (٤٤٦٢)، ومسلم (٢٤٥٠)، والنسائي (٨٤٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٠).



كانت فاطمة علة نبوية، أحبها رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وكانت أصغر بناته، وهي التي تأخر موتها بعده، ولم يكن له من الأحفاد والأسباط إلا منها، ﷺ وأرضاهما، فانقطع نسبه الشريف ﷺ إلا منها. كانت تزوره ويزورها، ويتفقد أحوالها، ويفرحه فرحها، ويهيمه ما أهمها^(١).

فلم تطق ﷺ العيش بعده ﷺ فبكت لما علمت أنه سيموت في ذلك المرض، ثم ضحكت فرحاً لما علمت أنها ستدركه قريباً، ولن يطول الفراق بينهما، فكانت وفاتها ﷺ بعد وفاة نبينا ﷺ بستة أشهر فقط^(٢)، فأى شعور طاف بخاطرهما ﷺ وهي تُفجع بأبيها، ثم تفرح باللاحق به قبل غيرها من أهل بيته ﷺ!

وصلّى نبينا ﷺ آخر صلاة بالمسلمين، وقرأ فيها مع اشتداد المرض عليه بسورة ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [المُرسلات: ١]^(٣)

ويزداد عليه الوجد ﷺ حتّى لا يقوى على رُقية نفسه، فترقيه عائشة ﷺ بيده الشريفة.

تقول عائشة ﷺ: «كان ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفّي فيه طففت أنفث على

(١) أخرج أحمد (١٨٩٠٧) عن المسور بن مخرمة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فَاطِمَةُ مُضْعَةٌ مِنِّي يَقِضُّنِي مَا قَبَضَهَا، وَيَسْطُنِي مَا بَسَطَهَا»، وفي رواية البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩): «هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرَبِّبُنِي مَا أَرَبَهَا، وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا».

(٢) قال الذهبي رحمه الله: «وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة. وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة. والأول أصح».

(٣) أخرجه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).



نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»^(١).

ويجتمع حوله أزواجه ويتذكرون كنيسة رأوها في الحبشة، فيسمع كلامهن، فيرفع رأسه فيقول مع شدة مرضه: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(٢).

إنه التوحيد الذي بُعث من أجله وعاش داعيًا إليه، يموت ﷺ وهو يحذر من ضده، وتعظيم القبور وأهلها، ولو كانوا أنبياء، فهم أموات لا ينفعون ولا يضررون وإنما يطلب النفع من الله وحده فهو الذي يجلب النفع ويدفع الضرر.

قال ابن رجب رحمه الله: «اتخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي ﷺ على ذلك»^(٣).

فلا يجوز أن تعظم القبور بالبناء عليها واتخاذها مساجد، ولا باتخاذها أعيادًا يُجتمع إليها، وإنما المشروع أن يزورها الرجال فيما يسر الله من الأيام، من غير تحديد يوم معين، تزار ويدعى للميت ويترحم عليه، كما قال النبي ﷺ: «رُؤِرُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٤).

وكان في مدة مرضه -الذي استمر ثلاثة عشر يومًا^(٥)- يُوعَكُ وَعَكًا شديدًا ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤١).

(٣) «فتح الباري» لابن رجب (٣/١٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٦). وقصد القبور للدعاء أو قراءة القرآن أو الصلاة عندها منكرًا، ومن وسائل الشرك، فلا تُتخذ محلاً للدعاء والصلاة والقراءة، بل هذا من نوع اتخاذها مساجد.

(٥) قال ابن حجر رحمه الله: «اختلف أيضاً في مدة مرضه عليه السلام، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه... وقيل: عشرة أيام». «فتح الباري» (٧/٧٣٦).



قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ ^(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعضاً شديداً فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعضاً شديداً!

فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ». فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ».

ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا نَحُطُّ الشَّجَرَةَ وَرَقَهَا» ^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت، وعنده قَدْحٌ فيه ماء، يدخل يده في القدح ويمسح وجهه بالماء وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ» ^(٣).

واشتدَّ به الوجع جداً يوم الخميس الثامن من شهر ربيع الأول...

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس!» ثم بكى حتى بَلَ دَمْعُهُ الحصى، فقال: «اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس» ^(٤)...

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٨٣٥)، والترمذي (٩٧٨)، وابن ماجه (١٦٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبَوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنِ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، فما زال يقولها حتى ما يفيص بها لسانه^(٢).

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول لعام أحد عشر من الهجرة صعدت الروح الطيبة الشريفة إلى بارئها...

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَصْلِي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحَجَرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَن وَجْهَهُ وَرَقَةٌ مَصْحَفٌ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بَرُوءِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَانْكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتَوَفَّى مِنْ يَوْمِهِ^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٤٨٣)، وقولها: «ما يُفَيِّصُ»: من الإفاصة، بالصاد المهملة، أي: ما يقدر على الإفصاح بها.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).



تقول عائشة رضي الله عنها: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحَرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخِذْهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ»، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ»، فَلَيِّنْتُهُ، فَأَمَرَهُ، فَاسْتَنَ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهِ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، وَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»، إِلَى أَنْ سَقَطَتْ يَدُهُ، فَمَاتَ صلى الله عليه وسلم، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١).

فتصمت الدنيا في المدينة، وتسكن الأصوات؛ إلا صوت باكٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم...

لقد مات رسول الله!!

وانقطع خبر السماء...

وتوقف نزول جبريل بالوحي...

وكأن ما بين نزوله في الغار في مكة وانقطاع نزوله بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظات من الدهر وليس سنوات من العمر!

لقد أظلمت المدينة التي كانت منورة بنوره صلى الله عليه وسلم...

يقول أنس رضي الله عنه: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه البخاري في مواضع، منها: (٤٤٥٠)، (٤٤٥١)، (٤٤٥٩)، (٥٢١٧)، (٥٦٧٤).

وقولها: «بين سحري ونحري» أي: بين صدري وعنقي. والسحر: الرئة أو الصدر.

المدينة، أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ، أظلم من المدينة كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»^(١).

ما أعظمها من مصيبة على من عاشها من صحابة رسول الله ﷺ!، فسبحان من ثبتهم وألهمهم رشدهم.

قال ابن رجب رحمه الله «ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم ينطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: «إنما بُعث إليه كما بُعث إلى موسى»، وكان من هؤلاء عمر.

وبلغ الخبر أبا بكر، فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مُسَجًى، فكشف عن وجهه الثوب، وأكبَّ عليه، وقبَّل جبهته مرارًا وهو يبكي وهو يقول:

«وانبياه، واخليلاه، واصفياه»^(٢)...

وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله رسول الله ﷺ»^(٣)...

وقال: «بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها»^(٤).

ثم دخل المسجد، وعمر يكلم الناس وهم مجتمعون عليه، فتكلم

(١) أخرجه أحمد (١٣٣١٢)، والترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٨٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٥٢).



أبو بكر، وتشهد وحمد الله، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال:

«من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت»، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية، فاستيقن الناس كلهم بموته، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر، فتلقاها الناس منه، فما يُسمع أحد إلا يتلوها...

كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول ﷺ، فكيف بقلوب المؤمنين؟!

لَمَّا فَقَدَ الْجَذْعُ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ قَبْلَ اتِّخَاذِ الْمَنْبَرِ حَنْ إِيْلِهِ، وصاح كما يصيح الصَّبي، فنزل إليه فاعتنقه، فجعل يُهدِّيه كما يُهدَّى الصَّبي الذي يُسَكَّن عند بكائه، وقال: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبةٌ تحنُّ إلى رسول الله ﷺ! فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه»^(٢).

ولتعلم -يا عبد الله- أنَّ محمداً ﷺ رسول من الرسل، وهم بشرٌ، يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر: من الصَّحة المرض، والنَّوم واليقظة، والبلاء والعافية، والعُسْر واليسر، والحياة والموت.

فإذا تَمَّت آجالهم المَقْدَرَةُ أمر الله مَلَك الموت بقبض تلك الأرواح الطاهرة الشريفة، فيموتون كما يموت سائر البشر.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦)، والدارمي (١٥٦٣)، وابن ماجه (١٤١٥).

(٢) «لطائف المعارف» (ص ١١٠).



ونبينا محمد ﷺ كان أشرف رسول، أدّى الأمانة وبلغ الرسالة، وكان يؤكّد دومًا أنه: «عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». فمحبتة ﷺ فرض لازم، ونتقرب إلى الله ﷻ بحبه.

إلا أن ديننا قائم على التوحيد وهو أفراد الله بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات...

فلا نعبد ﷻ من دون الله ﷻ.

ولا نستشفع به على الله ﷻ...

ولا نطلب منه قضاء الحاجات، أو كشف الكربات...

وقد كان ﷺ طيلة حياته النبوية يؤكّد على التفريق بين مقام الألوهية والنبوة، فلا يُرفع إلى مقام الألوهية.

لقد حذر ﷺ من تأليه الأنبياء ورفعهم فوق مكانتهم التي جعلها الله لهم.

لقد بالغ بعض أتباع الأنبياء في حُبِّهم، حتى أوصلوهم إلى الألوهية، وعبدوهم من دون الله، أو أشركوهم في عبادة الله!!

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا



تُظَرُونِي كَمَا أَظَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(١).

وعن مطرف بن عبد الله، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً.

فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ»^(٢).

ثم غَسَّله ﷺ بنو أبيه - كما أمرهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك^(٣) - علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، ومعهم أسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه، وعليّ يغسِّله وعليه قميصه يَدُلُّكُهُ به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وكان يقول: «بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً»^(٤).

ثم وُضِعَ ﷺ على سريره في بيته، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ أَرْسَالاً يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا أَذْخَلُوا النِّسَاءَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا أَذْخَلُوا الصِّبْيَانَ،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٥٩٥)، وأبو داود (٤٨٠٦).

(٣) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٢٩٣٤)، والبيهقي (٦٦٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٥٨)، وينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٢٤٣/٧)، «السيرة النبوية» لابن كثير (٥١٤/٤).



ولم يَوْمِ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ^(١).

ودُفِنَ ﷺ فِي بَيْتِهِ حَيْثُ قَبِضَ^(٢)، وَكَانَ بَيْتُهُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ الْقُرُونِ الْمَفْضُلةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلافةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ جِدَارًا لِكَيْلَا يُصَلِّيَ إِلَيْهِ أَحَدٌ^(٣).

وَقَدْ بَكَاهُ الصَّحَابَةُ بَعِيونَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ، وَبَكَاهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه مِثْلَ ذَلِكَ، وَبَشَعْرَهُ أَيْضًا، فَبَقِيَ ذَلِكَ الشَّعْرُ مَا بَقِيَ الذَّهْرُ يَصُورُ لِلنَّاسِ فَقَدَ الصَّحَابَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الَّذِي عَاشَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ، لَخَّصَ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الَّتِي عَاشَهَا فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ بِقَوْلِهِ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءَ
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
فَمِمَّا رِثَاهُ حَسَّانُ قَوْلُهُ رضي الله عنه:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كَحَلَّتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٦٢٨).

(٢) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (١٠١٨) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «مَا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ».

(٣) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٤١٣/٨)، فَالرَّسُولُ ﷺ دُفِنَ فِي بَيْتِهِ وَلَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ، وَدُفِنَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، وَلَكِنْ لَمَّا وَسَّعَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْمَسْجِدَ أَدْخَلَ الْبَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ؛ بِسَبَبِ التَّوَسُّعِ، وَغَلَطَ فِي هَذَا، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ لَا يَدْخُلَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا، وَلَا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الْبِنَاءِ عَلَى الْقُبُورِ أَوْ اتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ؛ لِأَنَّ هَذَا بَيْتَ مُسْتَقِلٍّ أَدْخَلَ فِي الْمَسْجِدِ لِلْحَاجَةِ لِلتَّوَسُّعِ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الْمَقْبَرَةِ الَّتِي أَمَامَ الْمَسْجِدِ مَفْصُولَةٌ عَنِ الْمَسْجِدِ لَا تَضُرُّهُ، وَهَكَذَا قَبْرُ النَّبِيِّ ﷺ مَفْصُولٌ بِجِدَارٍ وَقُضْبَانٍ.



جزعاً على المهديّ أصبح ثاوياً يا خير من وطىء الحصى لا تبعد
 جنبي يقيقك الثُرب لهفي ليتني غُيِّبْتُ قبلك في بقيق الغرقد
 بأبي وأمي مَنْ شهدتْ وفاته في يوم الاثنين النَّبي المهدي
 فظِلِّلتْ بعد وفاته مُتبلِّداً يا لهف نفسي ليتني لم أُولد
 أأقيم بعدك بالمدينة بينهم يا ليتني أُسقيت سَمَّ الأسود
 يا بِكر آمنة المبارك ذكره ولدْتُك مُحَصَّنة بسعد الأسعد
 نوراً أضاء على البريّة كُلِّها مَنْ يُهد للنور المبارك يهتد
 صَلَّى الإله وَمَنْ يَحْفُ بعَرْشه والطيبون على المبارك أحمد
 يا رب فاجمعنا معاً ونبيّنا في جَنَّة تُنبي عيون الحُسَد
 في جَنَّة الفردوسِ واكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسُّودد
 وكان الصحابة رضي الله عنهم يشْتاقون إليه في حياته، فكيف بهم بعد مماته؟!

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أَحَبَّ إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»^(١).
 ويقول أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُقبل وما على الأرض شخص أَحَب إلينا منه»^(٢).

وقال عروة بن الورد لقومه يصف حال الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية: «والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت مَلِكًا قط يُعْظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله محمداً، والله إن تنخَّم نخامة إلا وقعت في كفِّ

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢٢/٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٢٥).



رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له^(١). أعلى النموذج

ولم يكونوا ﷺ يفعلون ذلك من باب الذل والعبودية، ولكن من باب التوقير.

ومع هذا الحب العظيم والإجلال الكبير من الصحابة ﷺ للنبي ﷺ :

فإنهم كانوا كما تركهم أمناء على عقيدة التوحيد التي عاش من أجلها، فلم يكونوا إذا ادلهمت الخطوب، أو هالتهم المفاجع يهرعون إلى قبره للدعاء، وإنما كانوا يدعون الله ويستغيثون به.

بل حتى الاستشفاع يستشفعون بقرابته الأحياء، ولا يستشفعون به ﷺ ؛ لعلمهم بأنه مخالف للحق الذي جاء به ﷺ.

روى البخاري عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فأسقنا»، قال: فيسقون^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)، ومن تأمل هذا الحديث: «وجد أنه دليل على عدم جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره، وذلك أن التوسل هو اتخاذ وسيلة؛ والوسيلة هي الشيء الموصل إلى المقصود، والوسيلة المذكورة في هذا الأثر: «نتوسل إليك بنينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فأسقنا»؛ المراد بها: التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ، كما قال الرجل: «يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا»، ولأن عمر قال للعباس: «قم يا عباس فادع الله، فدعا»، ولو كان هذا من باب التوسل بالجاه لكان عمر ﷺ يتوسل بجاه النبي ﷺ قبل أن يتوسل بالعباس؛ لأن جاه النبي ﷺ أعظم عند الله من جاه العباس وغيره، =



فليس من محبته وتوقيره ﷺ: الغلو فيه، ولا رفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، فهو عبد الله ورسوله.

وليس من محبته وتوقيره ﷺ: أن يتوسل به، أو يستغاث به بعد موته.

وليس من محبته وتوقيره ﷺ: الحلف به، فكيف بغيره من المخلوقين؟! وهو القائل ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).



= فلو كان هذا الحديث من باب التوسل بالجاء لكان الأجدر بأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يتوسل بجاء النبي ﷺ، دون جاه العباس بن عبد المطلب.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

فصل

أخي الزائر:

هذه المدينة التي تسير في فجاجها لها أسماء عديدة، وتعدُّ الأسماء يدل على تعظيم المسمَّى.

قال الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوّته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علوّ رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته»^(١)

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «ولها [أي المدينة] نحو مئة اسم...، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى. قال النووي: لا يعرف في البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة»^(٢).

فمن أسمائها:

* يشرب، وهو اسمها في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْتِ أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣].

(١) «بصائر ذوي التمييز» (٨٨/١).

(٢) «فيض القدير» (٤١/١).

وقد كره رسول الله ﷺ هذا الاسم؛ لما فيه من التثريب، وأمر بتغييره إلى طيبة وطابة.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرَبَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَجَلَّ، هِيَ طَابَةٌ هِيَ طَابَةٌ»^(١).

وأما تسميتها في القرآن: يثرب، فإنما هو حكاية عن قول المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣].

* المدينة، فَعَيْلَةٌ مِنْ مَدَنَ بِالْمَكَانِ أَي أَقَامَ، والمراد البلدة النبوية، وأصبحت عَلَمًا عليها، وعلى غيرها بالإضافة، وبه سميت بعد هجرة النبي ﷺ إليها، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»^(٢).

قال المناوي رحمته الله: «وهي المدينة الكاملة، التي تستحق أن يقال لها مدينة على الإطلاق كالبيت للكعبة»^(٣).

* القرية، قال ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (١٨٥١٩)، وفيه يزيد بن أبي زياد وفيه ضعف، وبقي رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).

(٣) «فيض القدير» (٤١/١).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢).



* طابة، قال ﷺ: «هَذِهِ طَابَةٌ»^(١).

* طيبة، لقوله ﷺ: «إِنَّهَا طَيِّبَةٌ، تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ»^(٢).

قال ابن حجر رحمه الله «وَالطَّابُ وَالطَّيْبُ لُغَتَانِ بِمَعْنَى، وَاشْتِقَاقُهُمَا مِنَ الشَّيْءِ الطَّيِّبِ، وَقِيلَ: لَطْهَارَةٌ تَرَبَّتْهَا، وَقِيلَ: لَطِيبُهَا لِسَاكِنُهَا، وَقِيلَ: مِنْ طَيْبِ الْعَيْشِ بِهَا»^(٣).

* الدار، والإيمان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

* البحيرة، البحرة، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه في قصة ابن أبي بن سلول، قال سعد بن عباد: «يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهَ»^(٤).

* الدرع الحصينة، لقوله ﷺ: «وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ»^(٥).

* دار الهجرة، دار السنة، دار السلامة، قال عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ

(١) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (١٣٨٤).

(٣) «فتح الباري» (٨٩/٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٥٦)، ومسلم (١٧٩٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢٤٤٥).



الناس، وغوغاءهم، وإني أرى أنَّ المدينة تنفي خبثها، تمهل، حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة»^(١).

إلى غير ذلك من أسمائها.

وقد ذكر ابن حجر رحمته الله عشرة أسماء لها: المدينة، وطيبة، وطابة، والمُطَيِّبَة، والمسكينة، والمدري، والجابرة، والمجبورة، والمُحَبَّبة، والمَحْبُوبَة^(٢).

وذكر السمهودي للمدينة أربعة وتسعين اسمًا^(٣).

صلى الله على ساكنها أفضل صلاة وأتمها.



(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٨).

(٢) «فتح الباري» (٩٠ / ٤).

(٣) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (١٣ / ١).

فصل

وهذه المدينة النبوية حرّمها رسول الله كما حرّم إبراهيم مكة، وكلاهما بوحى من الله ﷻ.

قال ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا بِمِثْلِي مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(١).

وجاء في الحديث الآخر: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ، حَرَامٌ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْهَا وَحِمَاها كُلُّهُ، لَا يُخْتَلَى خِلَافَهَا، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقْطَتُهَا، إِلَّا لِمَنْ أَشَارَ بِهَا، وَلَا تُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلَّا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ، وَلَا يُحْمَلُ فِيهَا السِّلَاحُ لِقِتَالٍ»^(٢).

ومعنى حرمتها: أنها آمنة:

١ - فصيدها لا يصاد، ومن أمسك شيئاً من الصّيد داخل حدود حرم المدينة فعليه أن يطلقه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لو رأيت الطباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ لَا بَتَيْهَا حَرَامٌ»)^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (٩٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (١٣٧٢).



وروى عطاء بن يسار عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه وجد غُلْمَانًا قد أَلْجَأُوا ثَعْلَبًا إلى زاوية، فطردَهم عنه، وقال: «أفي حَرَمِ رسول الله ﷺ يُصنع هذا؟»^(١).

- ٢ - وشجرها لا يقطع؛ إلا ما دعت الحاجة إليه؛ كالحشيش للعلف، وقطع الأشجار للحرث، وما أشبهه.
- ٣ - ولقطتها لا تلتقط، واللقطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه، ويحتاج إلى تعريف.
- ٤ - والسلاح لا يحمل فيها لغير ضرورة ولا حاجة؛ لأنها آمنة.



(١) أخرجه مالك (٢٦٠١)، والبيهقي (٩٩٧٠).

فصل

والمدينة الآن: منها شيء داخل حدود الحرم، وشيء خارج عن حدود الحرم.

وقد حدَّ النبي ﷺ حدود حرم المدينة من جهاتها الأربع.

فقال ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَّمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا»^(٢).

فيحدها من الجنوب: جبل عير، وهو جبل ممتد من الغرب إلى الشرق.

ويحدها من جهة الشمال: جبل ثور، وهو جبل صغير شمالي أحد.

ويحدها من جهة الشرق: الحرّة الشرقية، وهي إحدى لابتيتها.

ويحدها من الغرب: الحرّة الغربية وهي اللابة الثانية.

وفي العصر الحاضر: قامت لجنة رسمية بتحديد منطقة الحرم، ووضعت الجهات المختصة علامات معمارية على شكل أقواس المسجد النبوي تبين حدود الحرم من الجهات الأربع.



(١) أخرجه البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٣٣)، ومسلم (١٣٦١).

فصل

أخي الكريم:

يشرع شدُّ الرحال من البلاد البعيد والقريبة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، كما ثبت عنه ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

والصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(٢).

ومن زار المدينة قاصداً الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، اسْتُجِبَّ لَهُ أَيْضًا أَنْ يَزُورَ الْأَمَاكِنَ التَّالِيَةَ:

(١) أخرجه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

١- الروضة الشريفة:

وهي المكان الواقع بين بيت المصطفى ﷺ - وهو بيت عائشة رضي الله عنها - والمنبر الشريف.

قال النبي ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(١).

وقد حددت الجهات المسؤولة مكان الروضة الشريفة، ووضعت له فرشاً مختلفاً لتمييزه عن بقية المسجد.

والصلاة في الروضة الشريفة أفضل من أي مكان في المسجد.

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أي مواضعه أحبُّ إليك؟ قال: «أَمَّا النَّافِلَةُ: فَمِصْلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا الْفَرِيضَةُ: فَيَقْدُمُ إِلَى أَوَّلِ الصَّفِّ أَحَبُّ إِلَيَّ»^(٢).

ومِصْلَى النَّبِيِّ ﷺ الذي يقصده الإمام مالك هو في الروضة الشريفة.

فيستحب لمن زار المدينة: الحرص على الصَّلاة والعبادة فيها.

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) «البيان والتحصيل» لابن رشد (١/٣٧٠).



٢- قبر النبي ﷺ المكرم:

يستحب لمن كان بالمدينة أن يزور قبر نبينا محمد ﷺ^(١)، وقد حث النبي ﷺ على زيارة الرجال للقبور عموماً.

فعن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَرُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٢).

وقبر رسول الله ﷺ أولى ما يزار من القبور، ولكن لا يشدُّ له المسلم الرِّحْلُ، ولا يجعلُ مقدِّمه للمدينة المنورة لزيارة القبر فقط، بل يكون زيارته للمدينة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وإن أدخل معه نية زيارته ﷺ فلا بأس.

قال شيخنا العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ «المشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ﷺ وهو بعيد عن المدينة أن يقصد بالسَّفر زيارة المسجد النبوي، فتدخل زيارة القبر الشريف وقبري أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعاً لذلك، وإن نواهما جاز؛ لأنه يجوز تبعاً ما لا يجوز استقلالاً.

(١) كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يصفه بـ«القبر المكرم»، ومن ذلك قوله: «ولا اسْتَحَبَّ هو ﷺ، ولا أحد من أصحابه، ولا علماء أمته: أن يجاور أحدً عند قبر ولا يعكف عليه؛ لا قبره المكرم، ولا قبر غيره، ولا أن يقصد السُّكنى قريباً من قبر أيِّ قبر كان». «دقائق التفسير» (٢/ ٤٧)، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والسلام عليه عند قبره المكرم جائز». «مجموع الفتاوى» (٣٢٢/ ٢٧)، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وعلماء المسلمين قد ذكروا في مناسكهم استحباب السَّفر إلى مسجده وذكروا زيارة قبره المكرم، وما علمت أحداً من المسلمين قال: إنَّه من لم يقصد إلا زيارة القبر يكون سفره مستحباً». «مجموع الفتاوى» (٣٤٥/ ٢٧)، وكان شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللهُ يصفه بـ«القبر الشريف».

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦).

أما نية القبر بالزيارة فقط فلا تجوز مع شد الرحال، أما إذا كان قريباً لا يحتاج إلى شد رحال، ولا يسمّى ذهابه إلى القبر سفراً فلا حرج في ذلك؛ لأن زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه من دون شد رحال سنة وقربة، وهكذا زيارة قبور الشهداء وأهل البقيع، وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة، لكن بدون شد الرحال^(١).

وصفة زيارة قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

أن يقف أمام القبر المكرم بأدب، ولا يرفع صوته، فإن النبي ﷺ مؤقّر حياً وميتاً...

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ [الحجرات: ٢-٣].

عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئت بهما، قال: من أنتما -أو من أين أنتما؟- قالوا: من أهل الطائف، قال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!»^(٢).

ويسلم على النبي ﷺ وصاحبيه، فعن نافع: أن ابن عمر كان إذا

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٢٧/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠).

قدم من سفرٍ دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه»^(١).

وإن قال: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فلا بأس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ «وإذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله، يا نبي الله، يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه، يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته، بأبي هو وأمي ﷺ»^(٢).

وإن قال في السلام على أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: السلام عليك يا أبا بكر الصديق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، وثانيه في الغار، جزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

وإن قال في السلام على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: السلام عليك يا عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا ثاني الخلفاء الراشدين، جزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

(١) أخرجه ابن أبي شيبه (١١٧٩٣)، وعبد الرزاق (٦٧٢٤)، والبيهقي (١٠٢٧١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤٦/٢٦).

ثم ينصرف بأدب.

وهناك مخالفات يقع فيها بعض زوّار القبر المكرّم، ومن أبرزها:

١ - دعاء الرسول، أو نداؤه، أو الاستغاثة به، أو الاستعانة به، كقول بعضهم: (يا رسول الله اشف مريضى، يا رسول الله اقض دينى)، أو غير ذلك من الأقوال المضادة للتوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ كما سبق بيانه لك.

٢ - التمسح بالقبر، أو استلامه، فالمسح والاستلام عبادة اختص بها الحجر الأسود والركن اليماني.

٣ - الطواف على القبر، فالطواف عبادة اختصّ الله بها بيته الحرام، ولم يشرعها في غيره.

قال الإمام النووي الشافعي رحمته الله: «لا يجوز أن يطاف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويكره إصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحُلَيْمِي وغيره: ويكره مَسْحُه باليد وتقبيله، بل الأدب: أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضر في حياته صلى الله عليه وسلم هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فَإِنَّ الاقتداء والعمل إِنَّمَا يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى مُحدثات العوام وجهالاتهم، ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رحمته الله تعالى في قوله ما معناه: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأنَّ البركة إِنَّمَا هي فيما

وافق الشَّرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»^(١).

وقال الإمام النووي الشافعي أيضًا: «وقال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين في كتابه في الجنائز -: ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله، قال: وعلى هذا مضت السنة. قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعًا، ينبغي تجنب فعله، وينهى فاعله. قال: فمن قصد السَّلام على ميتٍ سلَّم عليه من قبل وجهه، وإذا أراد الدَّعاء تحوَّل عن موضعه، واستقبل القبلة.

قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مُستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت، يُسلَّم ولا يمسح القبر، ولا يقبله، ولا يمسه، فإنَّ ذلك عادة النصارى.

قال: وما ذكروه صحيح؛ لأنَّه قد صحَّ النهي عن تعظيم القبور، ولأنَّه إذا لم يُستحبَّ استلام الركنين الشَّاميين من أركان الكعبة؛ لكونه لم يُسنَّ مع استحباب استلام الركنين الآخرين؛ فلا بُدَّ أن لا يستحبَّ مسُّ القبور أولى»^(٢).

٤ - الوقوف أمام القبر كهيئة المصلي، بوضع اليمين على الشَّمال على الصدر أو تحته، وذلك فعل محرَّم، لأنَّ تلك الهيئة هيئة ذل وعبادة لا تجوز إلا لله ﷻ.

(١) «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» للنووي (ص ٤٥٦).

(٢) «المجموع» للنووي (٣١١/٥).

٥ - دعاء الله عند القبر، أو اعتقاد أن الدعاء عنده مستجاب، وذلك فعل محرّم؛ لأنه من أسباب الشرك، ولو كان الدعاء عند القبور، أو عند قبر النبي ﷺ أفضل وأصوب وأحب إلى الله لرغبنا فيه رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وحثّ أمته عليه، فلما لم يفعل ذلك علم أنه فعل غير مشروع.

وقد رأى عليّ بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عَيْدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنْ تَسْلِمَكُمْ يَبْلُغَنِي أَيْنَ كُنْتُمْ»^(١).

٦ - إرسال من عجز عن الوصول إلى المدينة سلامه لرسول الله ﷺ مع بعض الزوار، وقيام بعضهم بتبليغ هذا السلام، وهذا فعل حادث مبتدع، لم يُعرف عن السلف الصالح، ومن يفعل ذلك فقد ترك ما أمره به النبي ﷺ بقوله: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنْ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغَنِي»^(٢).

٧ - تكرار زيارة القبر المكرم؛ بحيث يعتاد زيارته كل يوم أو بعد كل فريضة. وهذا مخالف لقوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»^(٣).

قال الملا علي القاري الحنفي رحمه الله: «كانت اليهود والنصارى تفعل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٣٨٥).

ذلك بقبور أنبيائهم، فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم حتى اتخذوها أصنامًا، وإلى هذا أشار لقوله [ﷺ]: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»، فيكون المقصود من النهي كراهة أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز، ولهذا ورد: «اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وقيل: العيد اسم من الاعتياد، يقال: عاده، واعتاده، وتعوده، أي: صار عادة له، والعيد ما اعتادك مِنْ هَمٍّ أَوْ غَيْرِهِ، أي: لا تجعلوا قبوري محلًّا اعتياد فإنه يؤدي إلى سوء الأدب، وارتفاع الحشمة، ولا يُظن أنَّ دعاء الغائب لا يصل إليَّ»^(١).

وقال ابن رشد المالكي رحمه الله: «وسئل [أي الإمام مالك رحمه الله] عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم، فقال: «ما هذا من الأمر».

قال محمد بن رشد: المعنى في هذا: أنه إنما يلزمه أن يسلم عليه كلما مرَّ به، وليس عليه أن يمرَّ به ليسلم عليه...، ويكره له أن يُكثر المرور به والسلام عليه، والإتيان كل يوم إليه، لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢).

٨ - اعتقاد أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة أو شرط في الحج، كما يظنه

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/٧٤٤).

(٢) «البيان والتحصيل» (١٨/٤٤٤).

بعض الحجاج -هداهم الله- ، بل هي مستحبة في حق من زار
مسجد الرسول ﷺ ، وليست من مناسك الحج.

وهاهنا أمور أيها الأخ المبارك:

١ - كره الإمام مالك رحمه الله وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل
أحدهم المسجد، أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه،
وقال: «إنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا
ونحو ذلك».

٢ - اتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ولا يُقبله، وهذا كله
محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله: اتخاذ القبور
مساجد.

قال ابن الحاج المالكي رحمه الله: «فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر
الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويُقبله، ويلقون عليه
مناديلهم وثيابهم؛ يقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك
إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام، وما كان سبب عبادة
الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب»^(١).

وقال السيوطي الشافعي رحمه الله: «ومن البدع أيضًا: ... طوافهم بالقبر
الشريف، ولا يحل ذلك، وكذلك إلصاقهم بطونهم وظهورهم بجدار
القبر، وتقيلهم إياه بالصندوق الذي عند رأس النبي ﷺ، ومسحه باليد؛
وكل ذلك منهي عنه»^(٢).

(١) «المدخل» (١/٢٦٣).

(٢) «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» (ص ١٨٥).



٣- مقبرة البقيع:

وهي من الأماكن التي يستحب للقادم للمدينة المنورة أن يزورها، وهي مدفن أهل المدينة، وتقع في جنوب شرق المسجد النبوي الشريف. والمقصود من الزيارة هو الدعاء لهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، لا دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم، ولا اعتقاد أن دعاء الله في ذلك الموطن هو أخرى بالإجابة.

عن عطاء بن يسار، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُّؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِن شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»^(١).

هكذا كان يفعل ﷺ، وإننا -أخي الكريم- بسنته مقتدون، وعلى منهجه سائرون.

وهذه المقبرة قد دفن فيها عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ، ومنهم:

١- أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢- عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

٣- الحسن بن علي رضي الله عنهما.

٤- أسعد بن زرارة رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤). وسمي «بقيع الغرقد» لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العوسج.



- ٥- إبراهيم بن النبي ﷺ.
 - ٦- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.
 - ٧- أروى بنت كريز رضي الله عنها.
 - ٨- ريحانة بنت شمعون رضي الله عنها.
 - ٩- أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنه.
 - ١٠- البضعة النبوية فاطمة بن رسول الله ﷺ.
 - ١١- مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ.
 - ١٢- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
 - ١٣- البضعة النبوية رقية بنت رسول الله ﷺ.
 - ١٤- أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.
 - ١٥- ريحانة بنت عمرو رضي الله عنها.
 - ١٦- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه.
 - ١٧- أسيد بن الحضير رضي الله عنه.
 - ١٨- صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ.
 - ١٩- العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ.
 - ٢٠- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
 - ٢١- أبو هريرة رضي الله عنه.
- وغيرهم كثير مما يصعب حصرهم، وجمع من التابعين وتابعيهم من فضلاء الأمة.

كما دفن فيها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول.

ولا يعلم على جهة التأكيد أين مواقع هذه القبور الآن، وما يتناقله الناس من تحديد لم يرد فيه شيء مقطوع به.

والسنة في شأن القبر: أن يرفع عن الأرض قدر شبر، وأن يجعل مُسَنَّمًا لا مُسَطَّحًا؛ لما روى البخاري عن سفيان التمار، أنه حدثه: «أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنمًا»، ولا يُمَيِّز القبر بالكتابة، أو بالتجصيص، أو وضع الرخام، أو البناء عليه.

أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يبنى عليه»^(١).

وأخرج مسلم عن ثمامة بن شفي، قال: كنا مع فضالة بن عبيد رضي الله عنه بأرض الروم «برودس»، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبوره فسوي، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»^(٢).

وأخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(٣).

قال النووي رحمه الله: «قال الشافعي والأصحاب: يكره أن يجصص القبر، وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك، وأحمد، وداود، وجماهير العلماء»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٤) «المجموع» (٢٩٨/٥).

قال ابن القيم رحمته الله: «ونهى ﷺ عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء».

ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جابر رضي عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها...، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهى أن يزداد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود من حديث جابر أيضاً: أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزداد عليه»، وهؤلاء يزيدون عليه -سوى التراب- الآجر والأحجار والجص.

ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بآجر، وأوصى ألا يفعل ذلك بقبوره.

وأوصى الأسود بن يزيد: «أن لا تجعلوا على قبري آجرًا».

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون الآجر على قبورهم».

وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة: «أن لا تضربوا على قبري فسطاطًا».

وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطًا.

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب؛ مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ ^(١).

(١) «إغاثة اللهنان» (١/١٩٦).



وقال ابن الحاج المالكي رحمته الله: «وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم، وهي جعل الرخام على القبور، وهي بدعة، وسرف، وإضاعة مال، وفخر، وخيلاء، وكذلك كل ما حوالية.

وليحذر من أن يجعل على القبر ألواحًا من خشب...

وكذلك يحذر من أن يجعل عليه درابزين؛ إذ إنَّ هذا كله من البدع المكروهة في الشرع الشريف.

وقد تقدم صفة القبر على السنة، فكل ما خالفها فهو بدعة مكروهة وإضاعة مال وفخر وخيلاء كما تقدم.

وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت، وتاريخ موته على القبر، سواء كان ذلك عند رأس الميت في الحجر المُعلَّم به قبره، وإن كان الحجر من السُّنة على الصفة المتقدمة، أم كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر ممنوعًا -كما تقدم-، أم كان في بلاطة منقوشة، أم في لوح من خشب، وأشد من ذلك أن يكون على عمود كان رخامًا أو غيره، والرخام أشد كراهة، وكذلك لو كان العمود من خشب فيمنع أيضًا^(١).

وقال الشوكاني اليماني رحمته الله: «وَمِنْ رَفَع الْقُبُورَ الدَاخِلَ تَحْتَ الْحَدِيثِ دَخُولًا أَوَّلِيًّا: الْقُبْبُ وَالْمَشَاهِدُ الْمَعْمُورَةُ عَلَى الْقُبُورِ، وَأَيْضًا هُوَ مِنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعِلَ ذَلِكَ.

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها

(١) «المدخل» (٣/٢٧٢).

الإسلام؛ منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعَظُم ذلك فظنوا أنَّها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرِّحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالمًا، ولا متعلمًا، ولا أميرًا، ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء المقبورين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يَمِينٌ من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى، واعترف بالحق!

وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه -تعالى- ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة!!

فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين، أيُّ رزء للإسلام أشد من الكفر، وأيُّ بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟^(١).

ومن مفاخر المملكة العربية السعودية: ما تقوم به من حماية التَّوحيد، ومحاربة الشرك ووسائله وصوره، ومن أعظم تلك الوسائل والصور: إزالة القباب والمشاهد المحرمة التي كانت في مقبرة البقيع خاصة، وغيرها من المقابر في أنحاء المملكة كلها.

وإنَّ من نعم الله على أهل الإسلام: هذه البلاد المباركة التي قامت

(١) «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» (٤/١٠٢).



على حماية التوحيد الذي جاءت به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها، فلا ترى فيها -ولله الحمد والمِنَّة- قبرًا يعبد، ولا ضريحًا بنيت عليه قُبَّة، ولا مَسْجِدًا به قبر، ولا ترى فيها مظهرًا من مظاهر الشرك، بل لا يصل إلى ولاية الأمر بخبر وجود قبر يُتردد إليه، أو بئر أو شجر يتبرك بها، أو غير ذلك؛ إلا ويزال.

قال الشيخ محمد المعصومي -وهو من علماء بُخارى-: «لما تشرفت بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة -زادها الله تشريفًا وتعظيمًا- ولما شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سرورًا؛ لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف^(١)، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضرّ الأشياء على عقيدة المسلمين».

(١) تكلم الرحالة ابن جبير في رحلته عند مروره بمكة سنة ٥٧٨ هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأولهم إمامة الشافعي، ويصلي خلف مقام إبراهيم غ، ثم المالكي ويصلي قبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلي قبالة الميزاب، ثم الحنبلي -وصلاته مع المالكي في حين واحد- وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس»، قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «سنن الترمذي» (ط ١٣٥٧هـ): «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرِ ذلك؛ إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (حفظه الله)، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء». (١/٤٣٢).

٤- مقبرة شهداء أحد:

وهي من الأماكن التي يستحب زيارتها للقادم للمدينة المنورة، وهي أحد معالم المدينة المنورة، وتقع شمال المسجد النبوي، بجوار جبل أحد.

وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنها تضم سبعين من الصحابة الكرام الذين استشهدوا في غزوة أحد، ومنهم:

١- عم النبي ﷺ: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

٢- حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه.

٣- مصعب بن عمير رضي الله عنه.

٤- عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه.

٥- عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

٦- خارجة بن زيد رضي الله عنه.

٧- سعد بن ربيع رضي الله عنه.

٨- النعمان بن مالك رضي الله عنه.

٩- عبدة بن الحسحاس رضي الله عنه.

١٠- مالك بن سنان رضي الله عنه.

١١- شماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه.

١٢- سهل بن قيس رضي الله عنه.

١٣- عمرو بن معاذ رضي الله عنه.



١٤- عبد الله بن جبير بن النعمان رضي الله عنه.

١٥- عمرو بن معاذ بن النعمان رضي الله عنه.

١٦- الحارث بن أنس بن رافع رضي الله عنه.

١٧- عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه.

١٨- سلمة بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

١٩- عمرو بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

٢٠- رفاعة بن وقش رضي الله عنه.

٢١- اليمان أبو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قتله المسلمون خطأ.

٢٢- صيفي بن قيظي رضي الله عنه.

٢٣- الحباب بن قيظي رضي الله عنه.

٢٤- عباد بن سهل رضي الله عنه.

والمقصد من الزيارة هو الدعاء لهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، لا دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم، ولا اعتقاد أن دعاء الله في ذلك الموطن هو أخرى بالإجابة.

وقد ثبت أن النبي ﷺ زارهم كما تقدم في أول الكتاب، فيستحب لمن نزل المدينة أن يزور تلك المقبرة، ويسلم على من فيها من الصحابة رضي الله عنهم، ويدعو لهم، كما يفعل في مقابر المسلمين الأخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ويستحب أيضاً زيارة قبور أهل

البقيع، وشهداء أحد؛ للدعاء لهم والاستغفار؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يقصد ذلك»^(١).

قال العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وإن أحب أن يأتي (أُحْدًا)، ويتذكر ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه في تلك الغزوة من جهاد وابتلاء وتمحيص وشهادة، ثم يسلم على الشهداء هناك مثل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عم النبي ﷺ فلا بأس بذلك، فإن هذا قد يكون من السير في الأرض المأمور به»^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/٤٧١).

(٢) «المنهج لمريد العمرة والحج» (ص ٣٥).

٥- مسجد قباء:

وهو أول مسجد بني في الإسلام كما تقدم، ويقع في جنوب المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي (٥ كم)، ويستحب زيارته والصلاة فيه لمن كان بالمدينة.

وكان لهذا المسجد منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، فكان يخصه بالزيارة كل أسبوع.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً»^(١).

بل رتب ﷺ على زيارته الأجر الوفير بالعمل اليسير.

فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ»^(٢).

وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه -مع مسجد رسول الله ﷺ- إلا مسجد قباء.

وأما سائر المساجد فلها حكم سائر المساجد، ولم يخصصها النبي ﷺ بإتيان، فلا نخصصها نحن بذلك.

وبهذا يعلم أن الأماكن التي يستحب شرعاً زيارتها في المدينة المنورة خمسة مواضع اتباعاً لسنة ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (١١٩٣)، ومسلم (١٣٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي (٧٨٠)، وابن ماجه (١٤١٢)، واللفظ له.

فصل

وسأذكر لك أخي الكريم عددًا من فضائل مدينة رسول الله ﷺ:

- ١ - كثرة أسمائها، وقد سبق ذكر بعض تلك الأسماء.
- ٢ - عِظَم بركتها، وهذا يشعر به من يسكن فيها من بركة أرزاقها، ومآكلها، وثمارها، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرّة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «اُتُّونِي بِوَضُوءٍ»، فلَمَّا تَوَضَّأَ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ، وَخَلِيلَكَ، دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ، مِثْلِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِّيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَمُدَّهِمْ»، يعني أهل المدينة^(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال النووي: الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيال بحيث يكفي المد فيها من لا يكفيها في غيرها، وهذا

(١) أخرجه أحمد (٩٣٦)، والترمذي (٣٩١٤)، والنسائي (٤٢٧٠)، وابن خزيمة (٢٠٩)، وابن حبان (٣٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٣٠)، ومسلم (١٣٦٨).



أمر محسوس عند من سكنها»^(١).

٣ - رفع الحمى والوباء عنها حين هاجر إليها رسول الله ﷺ، فقد كانت معروفة في الجاهلية بأنها أوبأ أرض، ولما قدم الصحابة إليها مرضوا بسبب تلك الحمى، فكانوا يُصلُّون قعوداً من شدة المرض، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهي مُحَمَّة، فَحَمَّ الناس، فدخل النبي ﷺ المسجد، والناس قعود يصلون. فقال النبي ﷺ: «صَلَاةُ الْقَاعِدِ نِصْفُ صَلَاةِ الْقَائِمِ»، فتجشَّم الناس الصلاة قياماً^(٢).

وأصاب الصحابة المهاجرين ضنك شديد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وَعَكَ أبو بكر، وبلال.

فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُضْبِحٍ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته^(٣) يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرُّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنَّ يَوْمًا مَيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونَنِّي شَامَةً وَطَفِيلُ

قال: اللهم العن شيبَةَ بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف؛ كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

قالت رضي الله عنها: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بطحان

(١) «فتح الباري» (٩٨/٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٣٩٥).

(٣) أي: رفع صوته.

يجري نَجْلاً^(١).

قالت: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»^(٢).

٤ - أَنَّ الْإِيمَانَ يَأْرِزُ إِلَيْهَا، أَي: يَنْضُمُ وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»^(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: إِنَّهَا كَمَا تَنْتَشِرُ مِنْ جُحْرِهَا فِي طَلَبِ مَا تَعِيشُ بِهِ، فَإِذَا رَاعَاهَا شَيْءٌ رَجَعَتْ إِلَى جُحْرِهَا، كَذَلِكَ الْإِيمَانُ انْتَشَرَ فِي الْمَدِينَةِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ لِمَحَبَّتِهِ فِي النَّبِيِّ ﷺ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ جَمِيعَ الْأَزْمَنَةِ»^(٤).

٥ - حَمَايَتُهَا مِنَ الدَّجَالِ، فَإِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا يَدْعُ بَلَدًا إِلَّا دَخَلَهُ، غَيْرَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَّاسَانُ»^(٥).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ

(١) أَي: مَاءَ آجَنًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٨٩)، (٣٩٢٦).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٧٦)، وَمُسْلِمٌ (١٤٧).

(٤) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (٩٤/٤).

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٢٣٧)، وَابْنُ مَاجَةٍ (٤٠٧٢).

إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ،
إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا
ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ^(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ
رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ
مَلَكَانِ»^(٢).

وروى مسلم من حديث فاطمة بنت قيس -في قصة تميم الداري
والجساسة- أن الدجال قال لهم: (إني أوشك أن يؤذن لي في
الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في
أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما
أردت أن أدخل واحدة -أو واحدًا- منهما استقبلني ملك بيده
السيف صلتًا، يصدني عنها، وإنّ على كل نقب منها ملائكة
يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ -وطعن بمخصرته في
المنبر-: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ» -يعني المدينة- «أَلَا
هَلْ كُنْتُ حَدِّثُكُمْ ذَلِكَ؟» فقال الناس: نعم، فقال: «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي
حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ
وَمَكَّةَ»^(٣).

٦ - شفاعة النبي ﷺ لمن يموت فيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن نبي الله

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).



ﷺ قال: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»^(١).

٧ - تفضيلها بتفضيل بعض الأماكن فيها، كالمسجد النبوي الشريف، والروضة الشريفة، ومسجد قباء، وجبل أحد، ووادي العقيق^(٢).



(١) أخرجه أحمد (٥٤٣٧)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢). وشفاعة النبي ﷺ جاء الخبر أن المرء يدركها -أيضاً- إذا داوم على عمل يسير وسهل بإذن الله، وهو ما أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٢) وادي العقيق جعله الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ مباركاً، وأمر نبيه ﷺ بالصلاة فيه. روى البخاري (١٥٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يوازي العقيق يقول: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ».

فصل

اعلم -أخي الكريم- أنَّ جماع الدين أمران:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله تعالى.

والثاني: أن نعبد بما شرع، لا نعبد بالبدع.

والبدعة: هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل.

قال النبي ﷺ: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٣) ميزان للأعمال في باطنها.

فكما أن كل عمل لا يراد به وجهه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ولا أجر، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء، بل هو زيادة على ما شرعه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

قال ابن حجر العسقلاني الشافعي في تعليقه على حديث: «مَنْ عَمِلَ

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإنَّ معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(١).

إذا تبين لك ذلك أخي الكريم:

فإنَّ هناك أماكن يقصدها بعض الزوار ليس لزيارتها أصل شرعي، وتشغل الزائر عن المقصد الأساس لمقدمه لمدينة رسول الله ﷺ، وهو الإكثار من الصلاة في مسجده، ولزومه، وذكر الله فيه، مع الاستفادة مما يعقد فيها من حلق العلم والذكر.

فهذه الأماكن إن قصدها الزائر تقرُّبًا إلى الله واعتقاد أن زيارتها من دين الله، فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأت به النبي ﷺ، وليست مما يقرب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ لأنَّ محبة الله لا ينالها العبد إلا بصواب عمله، وصواب العمل لا يكون إلا بشرطين رئيسين:

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المك: ٢].

قال ابن كثير الشافعي رحمه الله: «لم يقل أكثر عملاً، بل: ﴿أَحْسَنُ

(١) «فتح الباري» (٥/٣٠٣).



عَمَلًا [هُود: ٧]، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله وَجَلَّ جَلَالُهُ، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فَقَدَ العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل ^(١).

وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: **﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾** [المُلْك: ٢] قال: «أخلصه وأصوبه»، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة» ^(٢).

ومتابعة الرسول الله ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:

١ - السَّبَب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًا فهي مردودة على صاحبها.

مثالها: رجل يُحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عُرج فيها برسول الله ﷺ.

فالتهجّد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا. وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة.

ومن الأمثلة كذلك: المولد النبوي، فإن هذا السبب لم يشرع،

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٤).

ولم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً عن القرون الفاضلة، بل لم يعرف إلا في القرن العاشر.

٢ - الجُنْس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة.

ومثال ذلك: أن يُضَحِّي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته؛ لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

٣ - القَدْر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة؛ لأنها مخالفة للشرع في القَدْر، ومن باب أولى لو أنَّ الإنسان صَلَّى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزَّمان: فلو أن رجلاً ضَحَّى في أول أيام ذي الحجة، لم تقبل أضحيته لمخالفة الشرع في الزمان.

٦ - المَكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإنَّ اعتكافه لا يصح، وذلك أنَّ الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت



امرأة: أريد أن أعتكف في مُصَلَّى البيت لا يصح اعتكافها؛
لمخالفة الشرع في المكان^(١).

فلذا: فليسأل الزائر نفسه قبل أن يُقدم على ذلك، هل هذا العمل
مما يحبه الله ورسوله وشرعاه، أم لا؟

فهذه الأماكن إن قصدها الزائر تقرُّبًا إلى الله واعتقاد أن زيارتها من
دين الله، فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأت
به النبي ﷺ، وليست مما يقرب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ كما بيَّنا.

وأما إن كانت الزيارة لأجل التَّعرف على الأماكن التاريخية في
المدينة، فإنَّ هذا مباح في الجملة، وقد يكون من السَّير في الأرض
المأمور به، بشرط ألا يصاحبها مظهر من مظاهر التعظيم، أو المشقة
على النَّفس بصعود شاهق، أو تكلف سفر بعيد، وألا تكون مُشغلة لزائر
المدينة النبوية عن المقصد الأساس لزيارته بكثرة الصلاة في مسجد
رسول الله ﷺ، والانشغال بالطاعات فيه.



(١) ينظر: «الإبداع في كمال الاتباع وخطر الابتداع» (ص ٢١).

فصل

أَسَّسَ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَسْجِدَهُ الشَّرِيفَ فِي أَوَّلِ هِجْرَتِهِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، وَكَانَتْ مَسَاحَتُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا فِي سِتِينَ ذِرَاعًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ.

ثُمَّ زَادَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا فِي الْعَرْضِ وَثَلَاثِينَ فِي الطَّوْلِ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، فَصَارَ الْمَسْجِدُ مَرْبَعًا: مِائَةُ ذِرَاعٍ فِي مِائَةِ ذِرَاعٍ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ، وَمِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ.

ثُمَّ زَادَ فِي الْمَسْجِدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَنَةِ ١٧هـ، خَمْسَةَ أَمْتَارٍ فِي الْغَرْبِ، فَصَارَتْ مَسَاحَةُ الْمَسْجِدِ طَوْلًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ مِائَةً وَعَشْرِينَ ذِرَاعًا.

ثُمَّ زَادَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاقًا فِي الْقِبْلَةِ حَتَّى بَلَغَ جِدَارُهُ الْيَوْمَ الْغَرْبَ وَالشَّمَالِ، وَجَعَلَ طَوْلُهُ مِائَةً وَسِتِينَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا.

ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَأَدْخَلَ فِيهِ حُجْرَاتٍ أَمْهَاتٍ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ هَدَمَهَا، وَكَانَتْ زِيَادَتُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ، فَبَلَّغَتْ مَسَاحَةَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ زِيَادَةِ الْوَلِيدِ مِائَتَيْنِ ذِرَاعًا طَوْلًا، وَعَرْضُهُ فِي الْمَقْدَمَةِ مِائَتَيْنِ ذِرَاعًا، وَفِي الْمَوْخِرَةِ مِائَةً وَثَمَانِينَ ذِرَاعًا.

وَفِي سَنَةِ ١٦١هـ زَادَ فِي الْمَسْجِدِ مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ الْعَبَّاسِيُّ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَةِ فَقَطْ، فَصَارَ طَوْلُهُ ثَلَاثِمِائَةَ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ مِائَةً وَثَمَانِينَ ذِرَاعًا.

وَاحْتَرَقَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ سَنَةَ



٦٥٤هـ، ولمّا علم الخليفة بذلك رغب بإصلاح المسجد وإعادة إعمارهِ، وأرسل الأموال اللازمة لذلك، ولكن البناء لم يتم بسبب غزو التتار وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

فتولّى الأمر بعد ذلك السلاطين المماليك في مصر، فتمت عملية البناء والترميم سنة ٦٦١هـ، وعاد المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق.

ثم احترق المسجد النبوي مرة أخرى سنة ٨٨٦هـ، فرفع الأمر للسلطان الأشرف قايتباي، فأرسل بالأموال والصناع والمواد اللازمة، وأمر بإعمار المسجد، وقد امتدت العمارة حتى رمضان من سنة ٨٨٨هـ.

وظل المسجد على حاله حتى عام ١٢٦٥هـ، عندما ظهرت تشققات على بعض جدرانهِ وقبابهِ وسقفهِ، فكتب شيخ الحرم إلى السلطان العثماني عبد المجيد خان، فأمر السلطان بتجديد عمارة المسجد بشكل عام، وأرسل الصناع المهرة والأموال اللازمة، واستمرت أعمال البناء والزخرفة إلى عام ١٢٧٧هـ.

وبعد أن ضمَّ الملك عبد العزيز آل سعود ﷺ الحجاز إلى ملكهِ، واستتب الأمن في الحرمين الشريفين، وأصبح الوصول إليهما آمناً^(١)،

(١) كانت الحياة في جزيرة العرب قبل توحيدِها على يد الملك عبد العزيز آل سعود ﷺ مأساة حقيقية في سَلَمِها وحربِها، وفي باديتها وحاضرتها، وحسبك أن تعلم أن كل بلدة لها سور تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم! ومع الخوف مع القريب المعروف كان هناك قَطَاع الطرق الذي يجوسون الديار ويتربصون بأصحاب القوافل من الحجاج والمعتمرين وغيرهم شرّاً لسلبهم ونهبهم! فأبدلهم الله بعد خوفهم أمناً، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشردهم اجتماعاً، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلماً. فله الحمد من قبل ومن بعد، ورحم الله الملك المؤسس، وجزاه خير الجزاء.

= ودونك هذا الحادثة ودلالاتها، قال الأمير شكيب أرسلان وكان قد حجَّ عام ١٣٤٨هـ:

كثّر عدد الحجاج والمعتمرين والزائرين، فضاّق بهم المسجد النبوي

= «كنت صاعداً مرة من مكة إلى الطائف وكانت معي عباءة إحسانية سوداء، جعلتها وراء ظهري في السيارة، فيظهر أنها سقطت من السيارة في أرض لقيم ولم تنتبه لها، فأخذ الناس يمرون، فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق، فلا يجرؤ أحد أن يمسه، بل شرعت القوافل تتنكب عن طريق لقيم عمداً، حتى لا تمر على العباءة؛ خشية أنه إذا أصاب هذه حادثة يكون من مرٍّ من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها، بل لو كانت ثمة أفعى ما تجنبوها هذا التجنب كله.

وأخيراً وصل خبرها إلى أمير الطائف، فأرسل سيارة من الطائف أتت بها، وأخذ بالتحقيق عن صاحبها فقليل له: إننا نحن مررنا من هناك، وإن الأرجح كونها سقطت من سيارتنا، فجاء الأمير ثاني يوم يزورنا وسألنا: هل فقد لكم شيء من حوائجكم في أثناء مجيئكم من مكة؟ فأهبت برفاقي ليتفقدا الحوائج، فافتقدوها فإذا بالعباءة السوداء مفقودة، وكنا لم ننتبه لفقدانها، فقلنا له: عباءة سوداء إحسانية قال: هي عندنا، وقص علينا خبرها.

وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثلاً من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير في أيام «ابن سعود» مما لم تُحدث عن مثله التواريخ حتى اليوم، فالمكان الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيراً ما تقع فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلّحين، فأصبح إذا وجدت لقطة هناك على قارعة الطريق تجنب الناس الطريق لئلا يتهموا بها إذا فقدت، وكل يوم يأتي الشرطة والخبراء والعسس بلقطة وحاجات ضائعة مما فقده السُفّار أو سقط بدون انتباه عن الأكوار، وذلك إلى دائرة الأمن العام، فتبحث عن أصحاب هذه اللقطات وتردها لهم مما يقضي بالعجب.

وإنك لتجد هذا الأمن ممدود الرواق على جميع البلدان التي ارتفعت فيها راية «ابن سعود» من مُنجد ومُتهم ومُعرق ومُشتم بدون استثناء...، ولا يوجد معنى للحكومة إن لم تكن أول ثمراتها الأمن والعدل، ولو لم يكن من مآثر الحكم السعودي سوى هذه الأمانة الشاملة الوارفة الظلال على الأرواح والأموال التي جعلت صحاري الحجاز وفيافي نجد آمن من شوارع الحواضر الأوروبية لكان كافياً في استجلاب القلوب إليه، واستنطاق الألسن في الثناء عليه.

فاليوم نجد التاجر، والفلاح، والحادي، والملاح، والحاج القاصد على الضوامر، أو على الجوّاري المنشآت بالدُّسر والألواح، يتحدثون بنعمة هذا الأمن الذي أنام الأنام بملء الأجفان، وجعل الخلق يذهبون ويجيئون في هاتيك الصحاري، وقد يكون معهم الذهب الرنان، وهم بلا سلاح ولا سنان، فلا عمران للبلاد إلا بالأمان والاطمئنان.

حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خيفة الغيلة، وحذراً من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.



الشریف، فضلاً عن ظهور تصدعات جديدة في جدرانه وأعمدته، فأعلن في بيان للعالم الإسلامي عزمه على عمارة المسجد النبوي الشريف وكان ذلك عام ١٣٦٨هـ.

ثم توالى أبناؤه الملوك من بعده في الاهتمام بعمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته، وزيارته كل عام وتفقد أحواله.



= وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرّون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كل إنسان يجول في الحواضر والبادي أعزل لا يحمل شيئاً ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيراً ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارة الطريق وتبقى أياماً وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها». «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص ١٨٦-١٨٨) بتصرف.

وقال الدكتور عبد الوهاب عزّام -وكان قد حج عام ١٣٥٦هـ-: «والناس في إقامتهم بمكة، وسيرهم إلى منى وعرفات، وسفرهم إلى جدة والمدينة يرحلون بالليل والنهار آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال. ويظفرون بطمأنينة لا يظفرون بمثلها في البلاد الأخرى، ولا يغلو في الحق من يقول إن الأمن في بلاد الحجاز اليوم لا يظفر به إنسان في غيره من بلاد العالم. فإذا خرج الرجل الفرد يملأ جيوبه الذهب يقطع الطريق بين مكة والمدينة نهراً وليلاً ليس معه رفيق ولا حارس لم يخش على نفسه ولا ماله، وأحاط به الأمن في يقظته ونومه وليله ونهاره. أمر لم نسمع به ولا نسمع به اليوم في قُطرٍ من أقطار العالم المتمدن أو المتوحش». «مقال للدكتور عبد الوهاب عزّام بعنوان (الحج) منشور في مجلة «الرسالة» العدد (٢٨٦)».



فصل

أيها الزائر الكريم:

لعلَّك تقرأ بعض تصريحات ولاية أمرنا في هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية التي تؤكِّد حرصهم -حفظهم الله- على كلِّ ما من شأنه رفعة أمر المدينتين المقدستين: مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

بل قد نصَّ النظام الأساسي للحكم -وهو يقابل الدستور في الدول الأخرى- في مادته الرابعة والعشرين: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة».

وهذا الأمر نابع من عقيدة راسخة تلقاها ملوك هذه البلاد من الملك المؤسس ﷺ، في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وصيانتهما من كل ما يشوب صفو مرتاديهما في دينهم وأمنهم، ويعكّر عليهم روحانيتهم فيها.

فلا يجد الزائر لهاتين المدينتين المقدستين مظهرًا من مظاهر الشراكيات أو البدع فيهما، ولله الحمد.

كما أنَّ من دخلهما شَعَرَ بأمنٍ وأمانٍ، مما يفرِّغه لما أتى من أجله من العبادة والتأله لله ﷻ.

والمسجد النبوي الشريف قد حظي -ولا زال- بعناية فائقة واهتمام



بالغ من ولاة أمر هذه البلاد، منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، ومرورًا بأبنائه الملوك الذين تقلدوا مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية: سعود، ثم فيصل، ثم خالد، ثم فهد، ثم عبد الله رحمه الله، وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز -أعزه الله ونصره-، كلهم تعاقبوا على البذل بسخاء لخدمة هذا المسجد الشريف، وتوسيع مساحته، وتزويده بمختلف الخدمات التي تليق به، وتسهل على المصلين والزوار ما قدموا من أجله من الطاعات.

وكان من أولويات الملك عبد العزيز رحمه الله توسعة المسجد النبوي الشريف، وأعلن ذلك في خطاب رسمي عام ١٣٦٨هـ عن عزمه على توسعة المسجد النبوي، ومنذ ذلك الحين وقادة هذه البلاد يتعاهدون المسجد النبوي الشريف بالعناية والتوسعة فكانت التوسعة الأولى والثانية والثالثة؛ فنسأل الله أن يضاعف لهم الأجر، وأن يبارك في أعمالهم، وأن يوفقهم لكل خير.

ويواصل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز -حفظه الله- هذه المسيرة العطرة في بناء الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن، ففي كل محفل يؤكد -أيده الله- أهمية الحرص على متابعة العمل في مشروعات التوسعة بالحرمين الشريفين التي تصب جميعها في خدمة الإسلام والمسلمين، لاسيما حجاج بيت الله الحرام، وزوار مدينة الرسول ﷺ، وتقديم الرعاية التامة لهما.

ولم تقتصر رعاية المسجد النبوي الشريف على جانب العمارة فقط، فرعاية المسجد النبوي الشريف في جانب النظافة أمر لا تخطئه العين،



ويكفي أن تعلم أن من يقوم على نظافة وصيانة هذا المسجد الشريف يزيد على ألف وخمسمائة عامل^(١).

كل هذه الجهود أخي الزائر تبذل وأنت لا تشعر بها؛ ليكون هذا المسجد النبوي الشريف في أعلى مقامات النظافة الحسّية؛ لتتفرغ للعبادة والصلاة التي شَدَدَت الرّحال من أجلها.

أسأل الله أن يبارك في جهود ولاية أمرنا، وأن يوفق خادم الحرمين الشريفين وولي عهده لما يحبُّ ويرضى، وأن ينصر بهما الملة والسنة، وأن يجعل هذه الأعمال في ميزان حسناتهما.



(١) تصريح مدير إدارة النظافة والسجاد بالمسجد النبوي الشريف في جريدة الجزيرة، بتاريخ (٥/

الخاتمة

أخي زائر المدينة النبوية:

تذكّر وأنت تسير في فجاجها أن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام
ﷺ، قد ساروا في بعض هذه الطرقات والفجاج، وقد تطأ قدمك موطئاً
وطئته قدم رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي.

هي أرض مهاجرة...

وهي مدفن جسده الشريف...

إليها يأرز الإيمان...

وفيها تشعر بالراحة والاطمئنان...

فلتكن السكينة والهدوء هي شعارك فيها...

وابتعد عن الصخب ورفع الصوت...

بطيبة رسم للرسول ومعه
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
وواضح آيات، وبأقي معالم،
بها حجرات كان ينزل وسطها
معالم لم تطمس على العهد أيها
منير، وقد عفوا الرسوم وتهمد
بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وربع له فيه مصلى ومسجد
من الله نور يستضاء، ويوقد
أتاه البلى فالأي منها تجدد

ثم اعلم أخي الزائر:

١- أن محبة رسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادة نتقرب بها إلى



الله ﷻ، وهذه المحبة إيمان، وهي تكون بالقلب واللسان والجوارح:

فمحبتة بالقلب تعني: تقديم محبته ﷺ على النفس والوالد والأهل والولد، كما قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

ومن ذلك: استشعار هيئته، والشوق لرؤيته، وحُبُّ ما يُحِبُّ وَمَنْ يُحِبُّ، وكُرْه ما يكره وَمَنْ يكره.

ومن ذلك: معرفة سيرته ﷺ، وتدبرها، وأن يعيش المسلم تلك السيرة، وأن يأخذ العبر منها.

ومحبته باللسان تعني: التأدب عند ذكره ﷺ، فلا يذكر باسمه مجرداً، بل يُوصف بالنبوة أو الرسالة فقد وصف الرسول ﷺ من لا يصلِّي عليه عند ذكره بالبخل^(٢).

ومن ذلك: كثرة الصلوة عليه، وترديد الأذكار والأدعية التي قالها ﷺ، ونشر سنته، وتعليمها للناس، وتذكيرهم بحقوقه ﷺ.

ومحبته بالجوارح تعني: العمل بسنته، والاقتداء والاهتداء بهديه ظاهراً وباطناً.

٢- أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره، وتعظيمه مستمرة بعد موته ﷺ عند ذكره، وسماع حديثه.

(١) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤)، واللفظ له.

(٢) أخرج أحمد (٢٥٨)، والترمذي (٣٥٤٦)، والنسائي (٩٨٠٢) عن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». ﷺ.

قال أبو إبراهيم التَّجِيبِي: «واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيئته وإجلاله، بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به،... وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين عليهم السلام»^(١).

٣- ومن محبته عليه السلام الاهتداء بهديه عليه السلام في أمور التوحيد والاعتقاد التي بعث من أجلها، ومن ذلك: اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

ومن أقرَّ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله وجب عليه أن يقرَّ أن العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا لله تعالى، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرب القرابين إلا له تعالى.

والله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

وصفاته عليه السلام لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى عن النَّد والنَّظير.

٤- ومن توقيره عليه السلام: موالاة آله وعترته وأهل بيته المؤمنين، وصحابته الكرام، ومحبتهم بما ورد في الشرع، فلا إفراط ولا تفريط، فعقيدتنا وسطٌ بين الإفراط والتَّفريط، والغلوَّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتنا في آل بيت الرسول عليهم السلام:

(١) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للفاضي عياض (٢/٤٠).



فإِنَّا نتولَّى كلَّ مسلم ومسلمة من أهل البيت: أزواجه، وذريته،
وبني هاشم، وبني المطلب، فنحبهم، ونتولاهم، وننزلهم منازلهم التي
يستحقُّونها كما أمر الله، ومن ذلك أن نعرف الفضل لمن جمع الله له بين
شرف الإيمان بالله ورسوله، وشرف الاتصال بالنسب النبوي الشريف.

فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإننا نحبه
لإيمانه وتقواه، ولصحته لرسول الله ﷺ، ولقربته منه ﷺ.

ومن أتى منهم بعد عصر النبوة، وهو مؤمن، فإننا نحبه لإيمانه
وتقواه، ولقربته من رسول الله ﷺ.

ومن لم يُوقَّ منهم للإيمان، فإنَّ شرف النَّسب لا يفيدُه شيئاً، قال
الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال ﷺ: «وَمَنْ
بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(١).

ومع هذه المحبة الواجبة: فإننا لا نعتقد عصمتهم، بل هم بشر تقع
منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، كما لا نغالي في أوصافهم.

ونعتقد أنَّ من الصحابة مَنْ هو أفضل ممن جمع بين الصحبة
والقربة، فأبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين هم خير
الصحابة على هذا الترتيب.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم،
وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد..

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم،
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد..

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).



اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد...





الفكر





الفهرس

٥	المقدمة
١١	من مكة إلى المدينة
٢٣	إلى الرفيق الأعلى
٤١	أسماء المدينة المنورة
٤٥	المدينة حرام كحرمة مكة المكرمة
٤٧	حدود الحرم
٤٨	شد الرحال إلى المسجد النبوي
٤٨	الأماكن التي يُسن زيارتها في المدينة
٤٩	الروضة الشريفة
٥٠	قبر النبي ﷺ المكرم
٥١	صفة زيارة القبر المكرم
٥٣	مخالفات يقع فيها بعض زائري القبر المكرم
٥٨	مقبرة البقيع
٥٨	السنة في شأن القبر
٦٥	مقبرة شهداء أحد
٦٨	مسجد قباء



- فضائل المدينة المنورة ٦٩
- زيارة الأماكن التي لم يزرها النبي ﷺ ولا صحابته الكرام ٧٤
- تاريخ بناء المسجد النبوي وتوسعاته ٧٩
- عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي الشريف ٨٣
- محبة الرسول ﷺ تكون بالقلب واللسان والجوارح ٨٨
- من محبة النبي ﷺ الاهتداء بهديه في أمور التوحيد والعقيدة ٨٩
- من توقير النبي ﷺ معاملة آل بيته وعترته وصحابته بما ورد في الشرع ٨٩





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ جَرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ حَقَائِدُ فِي النَّاسِ كَانَتْ لَهُ حَقَائِدُ فِي اللَّهِ

تأليف

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السدوسي
الشيخ العام في الحديث الشريف والمنشور في التوفيق والذكر
والله اعلم بالصواب

رؤية
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

موقع
الرئاسة
www.pv.gov.sa

الرقم
الموحد
1909

PVGOVSA
YouTube Twitter Instagram